## نظريات القراءة في ضوء اللسانيات النفسية

ظهر الاهتمام بعلم النفس القرائي أو سيكولوجية القراءة في كتابات اللغويين منذ منتصف القرن العشرين، حين تحدث اللغوي البنيوي ليوناردبلومفيلد عن القراءة ووصفها بأنها عملية فك الرموز المكتوب وذلك وفقا لنظرته العامة لطبيعة اللغة بوصفها أبنية شكلية، وتفسيره لاكتسابها على أنه عملية سلوكية الية..ونماذج القراءة وهي ثلاث مجموعات: نماذج القراءة الجزئية الحرفية، ونماذج القراءة الكلية، ونماذج القراءة التفاعلية

يرى اللغويون أن الأصل في اللغة الكلام الشفوي، وأن الكتابة مظهر ثانوي طارئ على اللغة، ويستدلون على ذلك بأن الغالبية العظمى من لغات العالم شفوية، وأن الإنسان يكتسب لغته الأم، ويعد ناطقا بها، ولو عاش طول حياته أميا.

على الرغم من صحة المبدأ الذي انطلقت منه هذه النظرة، فإن القراءة تبقى مظهرا لغويا مهما، وتمثل مرحلة من مراحل النمو اللغوي وبخاصة في مرحلة الدراسة الأولية للأطفال. بل إن القراءة أهم مظهر لغوي يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى؛ فهي سمة حضارية، وأداة لنقل العلوم والمعارف من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أخرى، خاصة في الثقافة العربية الإسلامية. بيد أن القراءة عملية عقلية ذهنية معقدة، لايقدر عليها إلا الإنسان بما حباه الله من عقل، وما وهبه الله من قدرات ذهنية.

**1. مفهوم القراءة: لغة:**

القراءة هي تعرف وفهم ونقد وتفاعل، إنها نشاط عقلي يستلزم تدخل شخصية الإنسان بكل جوانبها[1]معنى قرأ في اللغة: تقول (قرأ) الكتاب –قراءة وقرأنا : تتبع كلماته نظرا ونطق بها وتتبع كلماته ولم ينطق بها (القراءة الصامتة). والتعريف اللغوي شمل القراءة الجهرية والقراءة الصامتة.

**اصطلاحا:**

تتطور مفهوم القراءة في النصف الثاني من القرن 20 من مفهوم يسير يقوم على أن القراءة عملية ميكانيكية بسيطة إلى مفهوم معقد يقوم على أنها نشاط عقلي يستلزم تدخل شخصية الإنسان بكل جوانبها[2]، وتعرف أيضا بأنها عملية معرفية تستند على تفكيك رموز تسمى حروفا لتكوين معنى، وبالتالي فهي قراءة الكتابة باللسان أو بالفكر لفهم ما يحتوي النص المقروء من معاني.

**القراءة عملية لغوية نفسية:**

تتم عملية القراءة إما عن طريق عملية الإبصار إذا كانت القراءة صامتة أو جهرية، وإما عن طريق السماع إذا كانت سمعية.

**أولا: القراءة عن طريق الأبصار:**

لا يختلف الإبصار في القراءة عنه في عملية رؤية الموجودات الأخرى، فينقل العصب المرئيات إلى المخ أين يستبين مدلولها ويصبح في الإمكان التعبير عنها بصورة أو بأخرى.

كذلك فإن صورة الرموز الكتابية تقع على الشبكية مقلوبة حين ينظر إليها القارئ بفعل الأشعة المنبعثة منها والتي تمر من خلال القرنية إلى إنسان العين مخترقة السائل الهلامي، ثم يتولى العصب البصرى نقلها إلى المخ كى تعتدل وتتر جم باستثارتها للمعنى والخبرات التي سبق للقارئ اكتسابها، وبهاذا تتم عملية القراءة الصامتة.

النسبة القراءة الجهرية تزيد عملية القراءة عما سبق، إذا ان مراكز الكلام المتصلة بمركز الإبصار في المخ تصدر أوامرها إلى أعضاء النطق لدى القارئ، حتى يصيغ الترجمة المعنوية التي قام بها المخ في قوالب لفظية وعبارات منطوق.

وتدل الأبحاث والتي أجريت فيها يختص بحركات العين، على أن كلا من القراءة الصامتة والجهرية منجزها العين في وقفاتها المتكررة عبر السطور المكتوب، ذلك لأنها تقف الوقفة السريعة لتحيط في أثنائهما بمجموعة من الكلمات تسمى (المدى القرائى) الذي ينقله العصب البصرى بجملته إلى المخ من اجل ترجمته وفهمه.

---

1- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي(سنتري سور الأزبكية، ص) ، ص: 337.

2- أحمد فؤد محمود علهان، المهارات اللغوية ما هيتها وطرائق تدريسها،

وبعد الإنتهاء من هذه العملية تقفز العين بمنتهى السرعة إلى وقفة أخرى ومدى قرائى آخر. وهي حين تقفز لا تكاد ترى شيئا، وهكذا تسير العين في إبصارها للرموز الكتابية من وقفة إلى أخرى، ومن مدى قرائي إلى آخر في لمحات سريعة، فتنتقل من سطر لآخر حتى ينتهي المكتوب الذي يراد قراءته.

قد يخطئ القارئ في قراءة السطر التالي فيضطر إلى استرجاع بعض ماقرأه في السطر بحركات العين الرجعية حتى يسلم الانتقال والربط بين بداية السطر التالي ونهاية سابقه. ومرد ذلك لأسباب أهمها:

1. ضيق ما بين السطور، حيث يعمل ذلك على اضطراب العين عند انتقالها من سطر إلى آخر.
2. طول السطور وامتدادها فوق مساحة كبيرة، فإن ذلك يساعد على عدم السرعة في لمح التوالى بينها.
3. قلة التمرس بالقراءة والتدريب عليها، فالمبتدئ كثيرا ما يخطئ في الانتقال السليم، بخلاف القارئ الناضج، حيث يندر خطؤه.
4. إجهاد العين أو إجهاد القارئ، فكلاهما يؤثر في خطأ الانتقال بين السطور.

**ثانيا: القراءة عن طريق الاستماع:**

تتم القراءة عن طريق السماع بوساطة الألفاظ الصوتية التي يصدرها المتحدث ترجمة للرموز الكتابية أو غيرها من الرموز والإشارات المفهمة التي سبقت الإشارة إليها، فتستقبلها أذن السامع ويتولاها العصب السمعى حينئذ بالنقل إلى المخ حيث تترجم وتفسر ويدرك معناها بها تستشيره من خبرات سابقة.

فالقراءة السمعية بهذا التفسير تشبه كلا من القراءة الجهرية والصامتة في العملية الأخيرة التي تتم في المخ والتي بمقتضاها يحدث التفسير ويتم إدراك المعنى للألفاظ والعبارات والرموز والإشارات وهي جوهر عملية القراءة.

أما العمليات السابقة عليها فهي وإن كانت في ذاتها هامة إلا أنها تستهدف في النهاية هذه العملية الأخيرة التي تتم القراءة بمقتضاها. ومرد هذا الاختلاف إلى اختلاف طبيعة المادة المقروءة. ففي القراءة الصامتة والجهرية كانت رموزا تصدر عنها إشعاعات ضوئية لا يمكن لغير العين أن تستقبلها، فكانت السبيل إلى جوهر العمليات القرائية، وفي القراءة السمعية كانت قوالب صوتية وألفاظ مسموعة يستحيل على غير الأذن التقاتها ونقلها إلى مركز الترجمة والتفسير.

**القراءة بين السهولة والصعوبة:**

يختلف فهم القارئ تبعا لنوعية المادة والموضوع المقروء، فلغة الجرائد والمجلات والصحف والقصص تختلف عن لغة الوثائق الرسمية والكتب العملية. ولكل مجال مفرداته الخاصة وتعابيره التي تميزه عن غيره. وسبق أن قام بعض العلماء بتصنيف الألفاظ إلى دارجة ونادرة. ووضعوا لذلك معاجم خاصة تصلح للإستخدام المحلى (في بيئة معينة .(ويتحكم في سهولة أو صعوبة القراءة عوامل تختص بكثرة المفردات القصيرة الدارجة التي تسهيل عملية القراءة، على حين تكون الكلمات الطويلة النادرة صعبة والكلمات القصيرة ترددها في النص يشير إلى أنها علامة من علامات السهولة .هذا والحكم على كون الكلمة دارجة أو نادرة يدخل فيه اعتبارات عدة أهمها ما يتعلق بالوسط والمستوى الثقافي لكل إنسان.وعادة ما يهتم الكاتب عند رعبته في تسهيل عملية المطالعة على قراءه بأمور تتعلق بالتقاء المفردات الدارجة عدم الإكثار من الجمل الطويلة إثارة اهتمام القارئ.ويستخدم اختبارات عديدة لتقدير السهولة أو الصعوبة في النصوص المقروءة تعتمد على فهم ما يقرأه التلميذ من نصوص ومنها ما يتحقق من سهولة القراءة ومنها ما يعتمد على معرفة مستوى آثار الاهتمام في المادة المقروء .

**القراءة وعلم اللغة النفسي :**

ظهر الاهتمام بعلم النفس القرائي أو سيكولوجية القراءة ***psychology of reading*** في كتابات اللغويين منذ منتصف القرن العشرين، حين تحدث اللغوي البنيوي ليونارد بلومفيلد عن القراءة، ووصفها بأنها عملية فك الرموز المكتوب ، ***decoding process*** ذلك وقفا لنظرته العامة لطبيعة اللغة بوصفها أبنية شكلية وتفسيره لاكتسابها على أنه عملية سلوكية الية.

بيد أن اراء نوم تشومسكي وأتباعه، التي ظهرت في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، وحولت الدراسات اللغوية الى دراسات لغوية نفسية معرفية، قد مهدت لدراسة عمليات القراءة دراسة لغوية نفسية حقيقية، وفتحت لعلماء القراءة أفاقا جديدة لتفسير هذه العمليات تفسيرا لغويا نفسيا معرفيا. وكانت اراء تشومسكي حول اكتساب اللغة، وتمييزه بين الكفاية

والأداء، وتفريقه بين الأبنية السطحية والبنية العميقة، أبرز القضايا التي استفاد منها ميدان علم القراءة في دراساته وبناء نظرياته. وأبرز هذه القضايا ما قدمه اللغويون المعرفيون الفطريون من أن الطفل لا يكتسب لغته بالتقليد والتكرار والتعزيز، وإنما يكتسبها بالتفكير والتحليل وفرض الفروض واختبارها الفروض واختيارها معتمدا على كفايته اللغوية الكامنة، وعلى الدخل اللغوي بنوعية: المنطوق والمكتوب[3].

وبناء على ذلك، برز في ميدان القراءة عدد من القضايا التي لم تكن معروفة في مرحلة سيطرة الاتجاهات البنيوية السلوكية على دراسة اللغة. وكان من أهم هذه القضايا دراسة اللغة المكتوبة وأهميتها في اكتساب اللغة، تلك القضية التي لم يعدها اللغويون البنيويون لغة طبيعية، ولم يدرسها علماء القراءة من قبل دراسة لغوية نفسية .وكان أول من تأثر بالاراء اللغوية النفسية من علماء القراءة وطبقها في دراساته "كنت جودمان" و"فرانك سميت"، وذلك في مدة لم تتجاوز عشر سنوات من إعلان تشومسكي نظريته اللغوية النفسية.فقد نشر كنتجودمان دراسته الأولى عام1965 م التي عنوانها ***A Linguistic Studyo*** : ***of Cues and Miscues in Reading***، وفسر فيها أخطاء الأطفال في القراءة تفسيرا لغويا نفسيا حين عدها دليلا على ما يجري في داخل ذهن الطفل والمرحلة التي يمر بها في اكتساب لغته ومعالجته لفهم المقروء معالجة لغوية،بدلا من النظر إليها بوصفها أخطاء يجب تصحيحها والتخلص منها. لكن دراسته التي نشرها عام1967 م بعنوان : ***Reading: A Psycholinguistic Guessing Game*** تمثل الدخول الحقيقي لعلم النفس القرائي ميدان علم اللغة النفسي، وبدايةالعلاقة الحميمة بين علم اللغة النفسي وميدان القراءة، حيث أصبحت در اسة نظريات القراءة منذ ذلك التاريخ جزءا من هذا العلم وميدانا من ميادين البحث فيه وفق النظرة اللغوية النفسية المعرفية. فقد توصل جودمان في هذه الدراسة إلى أن القارئ يعتمد في فهم النص المكتوب على ثلاثة جوانب لا ينفصل بعضها عن بعض، وهي: الجوانب النحوية، والجوانب الدلالية، والجوانب الكتابيةالصوتية.أما فرانك سميت فقد أعلن اراءه اللغوية

النفسية في تفسير القراءة في كتاب أصدره عام1971 بعنوان.:

***Understanding Reading A Psycholinguistik Analysis of Reading and Learning to Read*** حيث ذكر أن القراءة ليست تعليما ولا تدريسا للمتعلم ولكنها عملية تدرب يتعلمها الإنسان حين يمارسها ويؤديها بنفسه. وقد حدد وظيفة معلم القراءة بأنها: ليست عملية تعليم الطفل طريقة القراءة بعلم اللغة النفسي في عبارته المشهورة التي يستشهد بها الباحثون في هذا الميدان ويصدرون بها مؤلفاتهم: (وعلم اللغة النفسي يمكن أن يؤكد حقوق الأطفال في تعليم القراءة بمساعدة الناس لا بالأساليب).

وقد اهتم الباحثون في علم اللغة النفسي بميدان القراءة ودراسة نظرياتها ونماذجها وأساليبها لسببين:

أحدهما: التطور الذي حدث في علم اللغة النفسي وشقيقه علن اللغة الإجتماعي في السنوات الأخيرة من القرن العشرين.

والأخر: انصراف اللغويين المعرفيين إلى دراسة النصوص وتحليلها، والإهتمام بالدلالات المعجمية والمعاني التداولية، بدلا من الإهتمام بالجوانب الصوتية والتركيبية التي كانت سمات المدرسة البنيوية الشكلية.

ونظرية الربط ***Schema Theory*** التي هي العمود الفقري في القراءة، تعد مصطلحا لغويا نفسيا من حيث النشأة والنمو. وقد ساهم هذا الإهتمام بنمو البحث في القراءة في الدراسات التربوية، لكنه لم يؤثر بدرجة كافية على نمو البحث في أساليب التدريس وممارساته.

وفي مقابل ذلك، استفاد علم اللغة النفسي من ميدان القراءة في تفسيره لفهم اللغة واكتسابها ونموها، حيث عدها رافدا مهما من روافد الدخل اللغوي لاكتساب اللغة الأم واللغة الثانية.بل إن بعض اللغويين التطبيقيين، أمثال"ستيفن كراشن" وغيره، قد اعتمدوا على القراءة أساسا لبناء لغة متعلم اللغة الثانية إذا توافرت فيها شروط معينة.

**نماذج القراءة على ضوء علم اللغة النفسي**

---

[3]- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي،

يقصد بنماذج القراءة: الآراء والمذهب والنظريات التي تفسر العمليات الذهنية التي تتم في أثناء القراءة تفسيرًا لغوًيا نفسيًا. وتسميتها بالنماذج هنا من باب التغليب؛ فبعضها يرقى إلى درجة المذهب، وقد يصل إلى درجة النظرية. وتصنف هذه النماذج في ثلاث مجموعات: نماذج القراءة الجزئية الحرفية، ونماذج القراءة الكلية، ونماذج القراءة التفاعلية.

**أولاً: نماذج القراءة الجزئية *Bottom-up Models* :**

نماذج القراءة الجزئية أو الحرفية ترجمة لما اصطلح عليه في علم نفس القراءة بنماذج القراءة من الأدنى إلى الأعلى ، ***Bottom-up Models*** ويقصد بالأدنى النص المكتوب، أما الأعلى فيقصد به المعنى. وهذه النماذج يختلف بعضها عن بعض في جوانب تفصيلية معينة، ولكنها تتفق على أن القارئ يعتمد على منها النص المكتوب اعتماداكليًا في طريقة قراءته للنص وفهمه لمعناه، وسوف أقتصر على ثلاثة نماذج أو جزها في الفقرات التالية.[4]

1. أنموذج جوف *Gough's Model*:
2. أنموذج لا برج وصامويل *LaBerge's and Samuel's Model*:
3. أنموذج كارفر. *Carver's Model*:

**ثالثًا: النماذج التفاعلية *Interactive Models*:**

ظهرت النماذج التفاعلية للإجابة عن علاقة المفردات المعجمية بفهم المقروء. وعلى الرغم من أن هذه النماذج تؤكد على أن المراحل العليا من القراءة التي يمثلها المعنى تؤثر على المراحل الدنيا التي يمثلها النص، فإنها تعترف بأن الفهم يعتمد على النص نفسه. وقد ظهرت هذه النماذج في مراحل متأخرة؛ لذا بلغت عدًدا يفوق عدد النوعين الأولين، وسأتحدث عن سبعة منها فقط.[5]

1. أنموذج رملهارت *Rumelhart's Model*:
2. أنموذج ستانوفيتش *Stanovich's Model*:
3. أنموذج رملهارت ومكليلاند *Rumelhart's and McClelland's Model*:
4. أنموذج كنتش وفاندك *Kintsch's and van Dijk's Model*:
5. أنموذج جصت وكاربنتو *Just's and Carpenter's Model*:
6. أنموذج أندرسون وبيرسون *Anderson's and Pearson's Model*
7. أنموذج بيرسون وتيرن *Pearson's and Tierney's Model*:

---

[4]- .عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي

[5]- نفسه.